آسية بنت مزاحم امرأة عرفت الحب..

آسية بنت مزاحم

«امرأة عرفت الحب»

هي امرأة فرعون التي تحدث عنها القرآن، كان أبوها ملكًا لمصرَ في عهد يوسف عليه السلام، وهي امرأة رمسيس الثاني الذي تولىٰ حكم مصر سنة 1290 قبل الميلاد، وكانت صالحةً تدين بدين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وكانت تسمىٰ في عصرها (**إيست نفرت**)، لكن الرسول ﷺ سماها آسية، وذكرها من خير نساءِ العالمين.

كانت آسية مؤمنة مخلصة، تعبد الله سرًّا، حتىٰ أنها كانت تتعلل لقضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في مئزرها خوفًا من فرعون.

نشأت آسيا وعاشت في بيئة القصور والترف، حيث المتاع والزينة وصحبة علية القوم، وكل ما حولها يدعو إلىٰ الشهوة والمتعة، ولكن الله تعالىٰ جعلها كالشجرة في وسط الهشيم، وكالسراج في دياجير الظلام.

اختارها الله لينصر بها دينه:

الذين يهتدون يزيدهم الله هدىً، والثابتون علىٰ الحق يستعملهم ربهم لنصرة دينه حتىٰ يكونوا من أهلهِ وخاصته؛ وقد اختار الله آسية وجعلها اليد الحانية والأم الرؤوف التي تحفظ نبيّه موسىٰ عليه السلام من بطش الظالمين.

ولمّا ألقت أم موسىٰ ابنها في النهر انتهىٰ به الماء حتّىٰ فوَّهةِ النهر، حيث تستقي جواري امرأة فرعون؛ فلما رأينَ الصندوق أخذنه وهممن أن يفتحنَهُ، وظنَّ إن به مالًا، فقالت بعضهنَّ...إنا إن فتحناهُ لن تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته حتىٰ دفعنهُ إليها؛ فلما فتحته رأت فيه غلامًا، فألقىٰ الله محبته في قلبها، فأحبته كما لم تحبَّ أحدًا من قبل قط، فلما سمع الذبّاحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلىٰ امرأة فرعون ليذبحوه فقالت لهم: أقروه؛ فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتَّىٰ آتِي فرعون فأستوهبهُ منه، فإن وهبه مني كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم آلُمكُم...فأتت فرعون فقالت... (**قُرَّةُ عينٍ لي ولك**)، فقال فرعون...يكون ذلك لك،

فأما لي فلا حاجة لي فيه؛ فقال رسول الله ﷺ... **(والذي يُحلفُ به، لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها، ولكن حرمهُ من ذلك)**[1].

ثم أخذت آسيا برعاية موسىٰ بكل حب وحنان، فأرسلت لتبحث له عن مُرضعة.. فما إن وجدت المرضعة **(وهي أمه)** حتىٰ استبشرت، وأرسلت إليها لتمكث في القصر، ولكن المرضعة رفضت ذلك، وأخذته معها إلىٰ بيتها، وكانت آسية ترسل إليها الأموال والهدايا والعطايا.

ولما ترعرع موسىٰ قالت امرأة فرعون لأم موسىٰ.. أريني ابني فوعدتها يومًا تريها إياه فيه، فقالت لخزانها... لا يبقينَّ أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة لأرىٰ ذلك فيه، ثم أتت به فرعون ليكرمهُ، فلما دخلت به جعله في حجره، فتناول موسىٰ لحية فرعون فمدها إلىٰ الأرض؛ فقال أعداء الله لفرعون.. ألا تراه يعلوك ويصرعك، فأرسل للذبَّاحين ليذبحوه؛ فجاءت امرأة فرعون تسعىٰ لفرعون فقالت: اجعل بيني وبينك أمرًا تعرف به الحق.. فأتِ بجمرتين ولؤلؤتين، فقربهن إليه فإن بطش باللؤلؤتين وتجنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين عرفت أنه عاقل، فقرب إليه فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة إن تحرقا يده... فقالت المرأة...ألا ترىٰ؟ وصرفه الله عنه بعدما كان قد همَّ به وكان الله بالغًا فيه أمره.

وهكذا استطاعت آسية حماية موسىٰ بذكائها ودهائها رغم بطش فرعون وجبروته إلىٰ أن استوىٰ وبلغ أشده، وأرسله الله بالرسالة.

موقفها من دعوة موسى:

عندما ظهر الحق وأيَّد الله موسىٰ بمعجزة العصا، وخرَّ السحرة سجدًا لله رب العالمين آمنت امرأة امرأة، وكانت عند لقاء موسىٰ بفرعون بارزة مبتذلة، تدعو الله بالنصر لموسىٰ علىٰ فرعون وأشياعه، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها ابتذلت للشفقة علىٰ فرعون وأشياعه، وإنما كان حزنها وهمتها لموسىٰ.

ولما قتل فرعون ماشطة ابنته؛ كانت آسية تنظر من كوةٍ في قصر فرعون تنظر إلىٰ الماشطة كيف تعذب وتقتل وهي صابرة ومتمسكة بإيمانها بربها! فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون، وجعل يخبرها في شماتةٍ وزهو بخبر ماشطة ابنته، وكيف قام

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير 5/ 286.

بتعذيبها وقتلها، فقالت له: ويل لك، ما أجرأك علىٰ الله! فقال في غضب: لعلك اعتراك الجنون الذي اعترىٰ صاحبتك، قالت في حزم: ما اعتراني جنون، ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين.

ثم هددها فرعون الطاغية، وخيَّرها بين إيمانها والعذاب، وخافت عليها أمها وألحّت عليها بالموافقة علىٰ عرض فرعون فأبت، فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد، وأمر فرعون بربطها بالحبال ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الفجر:10،11]، واستقبل بها الشمس، وأضجعها علىٰ ظهرها، ووضع رحىً علىٰ صدرها، وعذبها فرعون عذابًا شديدًا ورهيبًا حتىٰ ماتت.

وكانت تدعو ربها وهي في العذاب.... ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ [التحريم:11].

قال العلماء: (اختارت الجار قبل الدار)، وقال الكشاف: **(طلبت القرب من رحمة الله والبعد عن عذاب أعدائه، وبينت مكان القرب بقولها: في الجنة، أو أرادت ارتفاعًا في الجنة، وتكون جنتها من الجنات التي هي أقرب إلىٰ العرش، وهي جنات المأوىٰ)**[1].

* وكلمة **(عند)** هي ظرف مكان، أو عادة يأتي في آخر الجملة، ولكنه هنا تقدم لأهميته، فقد اختارت القرب من الله قبل اختيار الجنة.

* قيل: إنها لما دعت بهذا الدعاء أراها الله بيتها في الجنة، ونسيت ما هي فيه من العذاب؛ فضحكت فقالوا: هي مجنونة، تضحك وهي في العذاب، فقبض الله روحها في الجنة رضي الله عنها، إنها امرأة عرفت أين الحب، فاختارت جوار الحبيب.

ملامح الشخصية:

- الرقة والحس المرهف الذي دعاها إلىٰ سرعة الاستجابة لنداء الإيمان في وسط بيئة الكفر والجبروت.
- قوة الإرادة والعزيمة والقدرة علىٰ التحمل.
- الجرأة في الحق والشجاعة وعدم الخوف إلا من الله تعالىٰ.

(1) انظر: الكشاف للزمخشري 7/ 98.

- الذكاء والدهاء والحكمة والذىٰ بدا واضحا عند نجاحها أكثر من مرة في اقناع فرعون بالعدول عن قتل موسىٰ عليه السلام.

خواطر وعبر:

1 – احتفظت آسية بإيمانها ولم تتأثر بفساد زوجها؛ فانحراف الزوج وطغيانه لا يبرر للزوجة معصية ربها وحيادها عن طريق الحق والعدل فكل امرئ بما كسب رهين.

2 – **رفضت آسية الظلم بشتىٰ الوسائل:**

- بالقلب.... عندما كانت تكتم إيمانها وتنكر المنكر بقلبها.
- باللسان.... عندما نهت عن قتل الطفل الرضيع موسىٰ عليه السلام وقالت: (**لا تقتلوه**).
- باليد وبالجوارح.... عندما واجهت ظلم فرعون وتحملت أقصىٰ درجات العذاب.

3 – عظم شأن آسية حتىٰ إن الله تعالىٰ جعلها مثلاً يُحتذىٰ به في الإيمان للرجال والنساء علىٰ السواء، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:11].

4 – قوة الإيمان أعلىٰ من قوةِ القهرِ والاستعلاء.

5 – في كثير من الأحيان تتبع المرأة زوجها في كل مايعتقده ويراه وتؤازره حتىٰ ولو جانب الصواب، ولكن آسيه حكّمت عقلها وعرفت الحق بقلبها، والإيمان بالله يرفع من شأن المرأة، ولا يجعلها مجرد تابع للرجل.

6 –آصرة العقيده أقوىٰ من كل صلات القربىٰ والنسب.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22].

وقد كتب الله الإيمان في قلب آسية..

8 – يمكن للمرأة أن تتودد إلىٰ الزوج لتستميل قلبه إلىٰ الأعمال الصالحة، وتتخذ

الحيلة، وتستعمل الحكمه في إقناعه بالأعمال الطيبه كما فعلت آسية عندما منعته من ذبح موسىٰ.

9-انتقاء ألفاظ الدعاء، والاجتهاد في اختيار المطالب كما طلبت آسية بيتًا في الجنة، يكون سقفه عرش الرحمن، وهذا قد يهوِّن علىٰ المرأة ما تلقاه من عناء في الثبات علىٰ الحق.

وقد كان دعاؤها من تمام التوفيق وقوه البصيرة، وقد قال عمر بن الخطاب: (**إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا رزقت الدعاء فإن الإجابة معه**).

* * *